مقاربة نظرية لتحديد العوائق الابستيمولوجية للحصول على المعرفة العلمية في ظل ابستيمولوجيا غاستون باشلار

Epistemological barriers to obtaining scientific knowledge A theoretical approach under the epistemology of Gaston Bachelard

-فوزي تيايبية [1]،

[1] جامعة محمد الشريف مساعدية سوق اهراس ، الجزائر، f.tiaibia@univ-soukahras.dz

تاريخ الارسال:2021/06/18	تاريخ القبول: 2021/06/26	تاريخ النشر: 2021/06/27

ملخص الدراسة :

مما لا شك فيه ان ابستيمولوجيا غاستون باشلار قد كانت ولا تزال محل اهتمام كثير من الباحثين والمهتمين بالبحث العلمي كيف لا وهو الذي استطاع ان من خلال مؤلفاته ان يسلط الضوء على اهم العوامل والعوائق التي تحول دون الحصول علة المعرفة العلمية كما لا يذكر اسمه الا وذكر معه مفهوم القطيعة الابستيمولجية .

و يوظف باشلار مفهوم العائق الابستمولوجي ليفسر المظاهر المتعلقة بالركود والنكوص الذي يطبع المعرفة العلمية في مرحلة من مراحلها، فهو يرفض اعتبار تاريخ العلم كسلسلة من المشاكل يؤدي بعضها إلى بعض، أو أن حاضرها تطوير وإضافة لماضيها، بل إن هذا التاريخ يشهد تعطلات واضطرابات، ركودا ونكوصا، كما يشهد كذلك ثورات وقفزات كيفية .في حين تعتر القطيعة الابستمولوجية كمفهوم أساسي في ابستمولوجيا باشلار فإنه يفسر مظاهر الثورة والتجاوز في الفكر العلمي لذلك يعبر الجدل في تاريخ العلم عن عوائقه وقطيعاته.

الكلمات الدالة: *ابستيمولوجيا، غاستون باشلار، العائق، المعرفة العلمية*

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/2614

Abstract:

There is no doubt that the epistemology of Gaston Bachelard has been and continues to be of interest to many researchers and those interested in scientific research, how not, and he was able, through his writings, to shed light on the most important factors and obstacles that prevent access to scientific knowledge, as his name is only mentioned. With him the concept of epistemological rupture. Bachelard employs the concept of the epistemological obstacle to explain the manifestations related to stagnation and regression that characterize scientific knowledge at one of its stages. He refuses to consider the history of science as a series of problems that lead to each other, or that its present is a development and an addition to its past. Rather, this history witnesses disruptions and disturbances, stagnation and regression. , It also witnesses revolutions and leaps how. While the epistemological rupture is considered as a basic concept in Bachelard's epistemology, it explains the manifestations of revolution and transgression in scientific thought. Therefore, the controversy in the history of science expresses its obstacles and divisions.

-key words *: Epistemology, Gaston Bachelard, Obstacle, Scientific knowledge.*

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/2614

1- العائق الإبستمولوجي ..مفهومه وأشكاله.

يوظف باشلار مفهوم العائق الابستمولوجي ليفسر المظاهر المتعلقة بالركود والنكوص الذي يطبع المعرفة العلمية في مرحلة من مراحلها، فهو يرفض اعتبار تاريخ العلم كسلسلة من المشاكل يؤدي بعضها إلى بعض، أو أن حاضرها تطوير وإضافة لماضيها، بل إن هذا التاريخ يشهد تعطلات واضطرابات، ركودا ونكوصا، كما يشهد كذلك ثورات وقفزات كيفية .في حين تعتر القطيعة الابستمولوجية كمفهوم أساسي فى ابستمولوجيا باشلار فإنه يفسر مظاهر الثورة والتجاوز فى الفكر العلمي لذلك يعبر الجدل فى تاريخ العلم عن عوائقه وقطيعاته.

إن المعرفة العلمية عند باشلار عملية تتم ضمن شروط نفسية تترك بصماتها على طبيعة المعرفة ذاتها بشكل أو بآخر، وتتجلى هذه التأثيرات في صيغة عوائق تعترض طريق هذه المعرفة.

والعائق الابستمولوجي مفهوم وظفه غاستون باشلار ضمن المنهج الذي اقترحه لفهم تاريخ العلوم في حقيقته وواقعيته فعندما نبحث عن الشروط السيكولوجية لتطورات العلم سرعان ما نتوصل إلى الاعتقاد التالي ألا وهو :أن » مشكل المعرفة العلمية يجب طرحه في شكل عوائق .(**جمال بوغالم،2018،ص108**)

. لذلك صاغ باشلار مفهوم العائق الابستمولوجي، ورصد أشكاله بالنسبة للمعرفة العلمية، ضمن كتابه تكوين الفكر العلمي (La formation de l'esprit scientifique)في فصل عنوانه " فكرة العائق الابستمولوجي ."وهو مفهوم إجرائي قابل للاستثمار حتى خارج الفكر الباشلاري نفسه .إذ طبقه باحثون في مجال العلوم الإنسانية لرصد عوائق المعرفة العلمية فيها أو لإبراز أشكال جديدة من العوائق الإبستمولوجية لم يتحدث عنها باشلار، لأن المشروع الباشلاري لم يمتد بالدراسة للعلوم الإنسانية .فما هو العائق الابستمولوجي؟ كيف ينشأ؟ وكيف يتم تجاوزه؟

- 2. مفهوم العائق الابستمولوجي

في معجم الفلسفة : «عاقه عن الشي منعه وشغله عنه، وعوائق الدهر شواغله وأحداثه .والعائق ما يعوق »

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/2614

الفكر أو الإرادة من شواغل داخلية أو خارجية وعوائق النمو هي الأسباب التي تمنع الكائن الحي من بلوغ الكمال الخاص بنوعه، من هذه العوائق ما هو طبيعي...ومنها ما هو اجتماعي...ومنها ما هو سياسي...ومنها ما هو نفسي. (**جميل صليبا،1994،ص39**).

فالعائق بهذا المعنى يتضمن المنع والتوقف عن التقدم لأجل الاكتمال مهما تعددت مصادره، داخلية كانت أو خارجية .والعائق ما يسبب شللا للإرادة والفكر، على اعتبار أن الإرادة تنجز ما يقرره التفكير .لكن هل المفهوم الباشلاري للعائق الابستمولوجي يتطابق مع التعريف المعجمي؟ يقول باشلار في التكوين إن الأمر ليس في اعتبار عوائق خارجية، مثل تعقد الظواهر وسرعة زوالها، ولا باتهام الحواس والفكر البشري بالضعف والقصور :ففي عملية اكتساب المعرفة ذاتها في صميمها تبرز، بنوع من الضرورة الوظيفية، تباطؤات وغشاوات .فسنبين على هذا المستوى أسباب الركود، بل وحتى أسباب التقهقر وسنكشف على هذا المستوى عن الأسباب المعطلة التي نطلق عليها تسمية العوائق الإبستمولوجية (**غاستون باشلار،1982،ص13**).

وبهذا المعنى، يشير العائق الابستمولوجي إلى تلك المظاهر المتعلقة بالركود والنكوص الذي يميز المعرفة العلمية في مرحلة من مراحلها، فتطور العلوم وتباطؤها، وعطالتها، وانبعاثها من جديد مشكل يطرح في صورة عوائق تعترض العالم فى اكتساب المعرفة، وبذلك يمكن القول إن العائق الابستمولوجي مفهوم باشلاري بامتياز فهو الذي أدرجه فيقاموس الفلسفة المعاصرة .حدد طبيعته، ومصدر نشأته كما أحصى أشكاله .إن التميّز الباشلاري في التأثيل لهذا المفهوم يتجلى في النظر إلى العوائق الابستمولوجية ليس في اعتبار مصدرها خارجا عن العلوم، بل ناجمة عنها ولأسباب طبيعية توجد بداخلها .فالأمر لا يتعلق بشروط خارجية للمعرفة مثل تعقد الظواهر، أو ضعف الحواس والفكر الإنسانيين، بل يتعلق بفعل المعرفة ذاته .وبذلك تكون العوائق الإبستمولوجية مشكلة للذات العارفة في علاقتها بموضوعات تفكيرها .ويتجه البحث ضرورة إلى فحص المعرفة العلمية من داخلها لا من خارجها فالعائق يوجد صميميا في هذا الفكر نفسه. وعن مصدر العائق الابستمولوجي يرى باشلار أنه متخف وقابع في كل المعارف، علمية وعامية، فقد يولد مع المعرفة العامية ويترسخ فيها، وهذا ما يسمى بالرأي كما أن المعرفة العلمية تفرز

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/2614

عوائقها كذلك، حيث تتقادم وتصبح عائقا أمام تطورها "إن معرفة من المعارف التي يحصل عليها بمجهود علمي تستطيع هي ذاتها أن تضعف وتنحرف »

والسؤال المجرد الصريح يبلى ويتناقص، فتبقى الإجابة الحسية .ومنذئذ، ينقلب النشاط الفكري ويتوقف .فيترسخ عائق ابستمولوجي في المعرفة التي لم تساءل، وتتحول العادات الذهنية التي كانت نافعة وسليمة، مع طول الزمن، إلى عائق في وجه البحث .فالأفكار بتقادمها تتحجر، ويتوقف الفكر عن الإبداع، بل يفضل معرفته على ما يناقضها، ويفضل الأجوبة على الأسئلة، وتتغلب الغريزة المحافظة على الغريزة المكونة بفعل تقادم الزمن ويتوقف النمو الفكري.

إن فيلسوف العلم ومهما كان يمتلك من ثقافة علمية هو يجمع بين نمطين أو صورتين إنسان مثقف ثقافة علمية حقة، وإنسان عادي تحكمه معارف عامية لأنه سجين ثقافة ساكنة جمدها الاستعمال وعادات ذهنية راسخة وثابتة .لذلك يدعونا باشلار إلى اليقظة إذا ما تعلق الأمر بالأفكار المسبقة لأنها تشكل ردا يستتر من خلفه العائق عندما يتعاطى الفكر الثقافة العلمية لا يكون أبدا فتيا، بل يكون قد طعن في السن، سنه سن أفكاره المسبقة **(جمال بوغالم،2018،ص109)**.

يتضح لنا أن العائق الابستمولوجي هو كل معرفة سابقة، وكل عادة فكرية، تشكل عقبة أمام العلم، في صياغته لمشكلاته صياغة صحيحة. النتيجة التي يستقر عليها باشلار، أن التحليل الابستمولوجي يكون تحليلا نفسيا للمعرفة الموضوعية، أي تحليل لفعل المعرفة وللذات العارفة، وذلك بالبحث في لا شعورها عما يحجب الموضوعية، لكون العائق الابستمولوجي متعلق الذات العارفة في تعاطيها مع موضوع معرفتها.

3. أنواع العوائق الابستيمولوجية:

يصنف غاستون باشلار العائق المعرفي أو الابستمولوجي في أشكال متعددة، وكتابه عن تشكل الفكر العلمي مليء بالأمثلة المتنوعة من العلوم الرياضية والفيزيائية والكيميائية والبيولوجية للعوائق الإبستمولوجية التي تلقي الضوء على لحظات التعطل والنكوص في تاريخ المعرفة العلمية في تلك

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/2614

الميادين. ولذلك لجأ صاحب تكوين الفكر العلمي إلى جعل كل فصل من فصول كتابه شرحا لنوع من أنواع العوائق التي يمكن أن يتخذها ضمن تاريخ تكَوُن المعرفة العلمية.

أ /التجربة الأولى:

التجربة الأولى هي المعرفة المباشرة بالأشياء تعتمد على معطيات الحواس فى اتصالها بالطبيعة وبالكاد تصنف بأنها معرفة حدسية خالية من النقد" إن أول عائق في تكوين فكر علمي، هو التجربة الأولى، التجربة التي سبقت النقد ولم تتعرض له، لأن النقد هو بالضرورة عنصر متضمن في الفكر العلمي .وبما أن النقد لم يلعب دوره علنا فإن التجربة الأولى لا يمكنها، بأي حال من الأحوال أن تكون سندا يعتمد عليه" . (محمد الازرق،2003، ص76).

إن الواقع المباشر لا يؤدي إلى معرفة علمية، لأن الاتصال المباشر بالمعطيات الحسية، يلغي وظيفة التفكير والنقد لدى العقل مما يفرض عليه تصديقا كليا لما تقدمه الحواس، لتعيش الذات فترة الأحلام والتخيلات التمثيلية مثل الكواكب المذكرة والمؤنثة والمعادن الخيرة والأخرى الشريرة ولذلك فإن" التجربة الأولى العائق أمام تطور المعرفة العلمية » . فاللا نظام الذي يميز التجارب الأولى ما هو إلا دليل على الخطأ وفي قراءته النقدية للفكر العلمي في القرن الثامن عشر يقدم باشلار مثالا عن الظاهرة الكهربائية حيث كانت الكهرباء تندرج ضمن نظر طبيعي بسيط يجعل منها علما مسليا سهلا، ينشغل به قطاع معين من الناس الاجتماعيين، علم تهيمن عليه تجريبية جوهرية لا بحث فيها عن القانون، تعتمد الملاحظة المباشرة وتتجه إلى إحداث الدهشة والتسلية .وهكذا كانت الكهرباء تجمع داخلها كل حجج الخرافة والحكاية والملهاة والمأساة. (**محمد، هشام، 2005، ص151**).

إن عائق التجربة الأولى في هذا المثال يتمثل في الاختبارية والواقعية الصرفة في النظر إلى الظاهرة الكهربائية، إذا لا بد من عقلنة التجربة، وهذا يصطدم بالقناعات الأولية التي تجعل من التجربة الأولى حقيقة أولى.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/2614

ب /المعرفة العامة

التعميم خاصية من خصائص المعرفة العلمية فهو يساعد في تقدم العلم، وفي فهم الظواهر لأنه ينقل الفكر من تبدد الوقائع إلى وحدة القوانين التي تفسرها .لكنه قد يتحول إلى عائق إيبستيمولوجي، يؤثر سلبا في المعرفة. ولذلك ينظر باشلار إلى المعرفة العامة على أنها معرفة مظللة وهائفة، وخاصة إذا كانت استجابة لمتعة عقلية خطيرة، وتدعونا اليقظة الفكرية إلى تجنب كل تعميم متسرع وسهل لأنه يحجب حقيقة الظواهر لأن" المعرفة التي تنقصها الدقة، أو بعبارة أدق إن المعرفة التي لم تمنح بشروطها المحددة تحديدا دقيقا ليست معرفة علمية .المعرفة العامة هي تقريبا حتما معرفة غامضة مبهمة (**محمد الازرق ،مرجع سابق،ص76**). .

ومن الأمثلة المعبرة عن العائق التعميمي القول " في الفراغ تسقط كل الأجسام بنفس السرعة ." وبالرغم من أنه تعميم ناتج عن تجارب فيزيائية لكنه قد يسبب تعطل التفكير إذا ما تساهل الفكر معه وتسرع في اعتباره قانونا عاما يغنيه عن بحث أعمق وأدق .ويبدوا أن هناك علاقة مباشرة بين التعميم والنتائج النفعية التي كانت ترجى من تجارب الفكر ما قبل العلمي بخلاف العلم الحديث، فما يميزه الموضوعية وليس الشمولية.

ويرى باشلار أن التعميم الذي ساد الفكر الفلسفي من أرسطو وحتى بيكون عمل ككابح أمام المعرفة العلمية، لأنه غالباً ما يسقط في التسرع والتبسيط، ويستجيب لإغراء القوانين المجردة التي تُصبح بدورها عائقاً أمام فهم الوقائع المعقدة « للفلسفة علم خاص بها وحدها هو علم العمومية(**غاستون باشلار،مرجع سابق،ص26**) .

ولمواجهة هذه المعرفة المضللة يدعونا صاحب نظرية القطيعة إلى تحليل نفساني للمعرفة الموضوعية، تحليل يكشف عن المتعة الفكرية السيئة المتولدة عن التعميم البسيط وفحص كل إغراءات السهولة.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/2614

ج /العائق اللغوي

يتقدم العائق اللغوي في صورة اللفظ الواحد أو الكلمة الواحدة، التي تقوم مقام تفسير كامل وكلمة واحدة تعبر عن عدة حوادث وتصبح أساسا لتفسير شامل وعام .فالعائق اللغوي أو اللفظي حالة تشكل فيها صورة واحدة وحتى كلمة واحدة، التفسير برمته» **(غاستون باشلار، مرجع سابق،ص26)**

.إنه امتداد غير موضوعي للفظ، نجعله يعبر عن ظواهر غير تلك التي وضع لأجلها .إن العادات اللفظية إغراءات للمماثلات الزائفة .وامتثالا لشروط الروح العلمية فلا بد للفكر العلمي من تجاوزها لأن لغة العلم لغة متخصصة لا يفهمها إلا المتخصصون.

يسوق باشلار أمثلة عديدة عن العائق اللفظي لكن حسبنا أن نأخذ مثالا واحدا هو لفظ الإسفنجة .وينقله من مذكرات الأكاديمية الملكية للعلوم على لسان" رومير Réaumur " حيث إن خاصية التشرب في الإسفنجة، يمتد خارج هذا النطاق ويعبر عن ظواهر أخرى من قبيل الهواء الذي يوجد بالما ء بدون قابلية للضغط .فكل الأجسام إسفنجية نتيجة لما يتميز به الإسفنج من خاصتي التشرب والقابلية للتشكل.

وسيطرت الصورة الإسفنجية حتى على صاحب الشك المنهجي(ديكارت)وعدها مفهوما واضحا ومتميزا ولا ينبغي التشكيك فيها ،إن ثقة ديكارت في وضوح صورة الإسفنجة لهو دليل قاطع على ذلك العجز عن إرساء الشك في مستوى تفاصيل المعرفة الموضوعية ، وقد يتخلى الفكر ما قبل العلمي عن اللفظ لكنه يحتفظ بوظيفته .وبدلا من استخدام الإسفنجة، يستخدم العلم حديثا التشرب كوظيفة للإسفنجة للتعبير عن الظواهر التي تتكهرب (تتشرب الكهرباء) معدن ما، مثلا الحديد، وهذه مماثلة بالإسفنجة، فالحديد هو إسفنجة للسائل المغناطيسي، وهي عبارات مغلوطة لكنها توظف في تفسير تجارب علمية .ويتحدث باشلار بكل أسف عن هذا الاستغلال اللامشروع للغة مجال العلم قائلا إننا نشعر بالحاجة إلى الاعتذار من القارئ، لإيرادنا هذه الصفحة الطويلة، المكتوبة بأسلوب رديء بيد مؤلف شهير، لكننا وفرنا عليه صفحات كثيرة جدا من نفس الطراز، يفسر فيها" رومير "تفسيرا لا متناهيا الظواهر بواسطة المصفة الإسفنجية ، إن الفكر ما قبل العلمي يسي التفكير، لأنه لا يميز بين المفهوم واللفظ، ونفس اللفظ يقع توظيفه

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/2614

على مفاهيم متباينة، يصفها، يشرحها والتعيين يكون نفسه لكن الشرح مختلف .إن الحاضرة العلمية تفرض على العالم أن يتكلم لغة علمية دون سواها.

د/العائق الجوهراني

يتحدث باشلار عن العقبة الجوهرانية في كتاب التكوين، وفي نفس الوقت يخصص له فصلا كاملا في كتاب فلسفة اللا عنونه ب اللا–جوهرانية، أمارات كيميا لا–لفواهيية .وهذا يعكس الخطورة والمدى الذي يشكله العائق الجوهري كعقبة في تأسيس المعرفة الموضوعية .فما هو العائق الجوهري؟ وماهي تمظهراته في المعرفة؟

يحدد باشلار العائق الجوهراني قائلا :"العائق الجوهراني، ككل العوائق الابستيمولوجية متعدد الأشكال، إنه يتكون من تجميع الحدوس الأكثر تشتتا، والأكثر تعارضا .وبميل طبيعي جدا يوقف التفكير ما قبل–علمي، حول موضوع معين، كل المعارف التي لهذا الموضوع فيها دور دون الاهتمام بتراتب الأدوار التجريبية .فهو يوحد مباشرة بالجوهر كل الكيفيات المتنوعة السطحية منها والعميقة، الظاهرة منها والخفية 13 (**جمال بوغالم،2018،ص112**) .

إن الفكر الجوهراني فلسفة ميتافيزيقية عقيمة وهي تفسير رتيب لخصائص الجوهر يعتقد أن للظاهرة خفي وجلي، باطن وظاهر .وتجليات هذه العقبة في الفكر ما قبل–العلمي، انشغال علماء وفلاسفة تلك المرحلة بالباطن أو الداخل اعتقادا منهم أن المعرفة الصحيحة تكمن في استخراج الباطن ودراسته .ويتولد لدى هؤلاء ما يسميه باشلار" وهم الداخل " أو أسطورة الذات الأعمق."

وتتمثل فكرة الجوهر بمفهوم الاحتواء ، الجوهر له غلاف يحتويه ويحفظه .ومن الأمثلة التي يقدمها باشلار الطبيب الذي يعتقد بأن الكيفية " الحرارة " تحفظ في جوهرها بغلاف من البر ودة يمنعها من التلاشي، والكاتب الذي يعتقد أن الابتعاد عن سطح الحجر يقربنا من صلابته وشفافيته . الجوهر إذن مرتبط بما هو صميمي وداخلي ويصبح الغوص في الداخل لمعرفة جواهر الأشياء ضرورة لابد منها في فلسفة الفكر ما قبل–العلمي.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/2614

هناك صورة أخرى يتمظهر بها الجوهر يسميها باشلار" التجوهر substantialisation وهو التركيز على جانب معين في الظاهرة، المدرك حسيا، وتحويله إلى الجوهر، أي إلى ماهية في الظاهرة (**محمد، هشام، 2005 ، ص202**) . فالظاهرة المباشرة تتحول إلى دليل لخاصية جوهرية . ويصفه بالتفسير المختصر والمتسرع الذي يؤدي إلى توقف كل استقصاء علمي لذلك يشكل عائقا حقيقيا أمام تقدم الفكر العلمي، لأنها فاقدة للدور النظري الاستدلالي الناقد للإحساس، إذ من العلامات البارهة للروح العلمي تحديد دقيق ومفصل للعلاقات بين الموضوعات. ومثال ذلك، الصورة المباشرة لبعض الاجسام الخفيفة التي تعلق بالجسم المكهرب تتحول إلى مبدأ عام للتفسير بالرغم من أنها صورة ناقصة لبعض الانجذابات، لا يمكن اعتمادها في وصف دقيق إلا بعد تحديدها.

هـ /العائق الإحيائي البيولوجي:

العائق الإحيائي هو حدس عن الحياة امتد حضوره إلى العلم الفيزيائي وهو امتداد اعتباطي غير مشروع بمعنى أن الأمر لا يتعلق بدراسة الحياة في الحقل المعرفي البيولوجي إنما عندما ينحرف هذا العلم ليقدم جوابا على أسئلة لم سوف نبتعد عن كل انتقاد خاص بشرعية حدس » تطرح عليه ويض تفسيرات معينة لظواهر فيزيائية أو كيميائية حيوي عندما يتوجه هذا الحدس إلى ظواهر الحياة ذاتها .إن المعارف البيولوجية(الاحيائية)لا تسترعي انتباهنا إلا بوصفها عقبات أمام موضوعية الفينومنولوجيا الفيزيائية وبالتالي لن نهتم بالظواهر الإحيائية إلا في المجالات التي يخط العلم فيها وهي السمة الغالبة للفكر ما قبل العلمي في القرن الساب عشر والثامن عشر الواقع تحت وطأة التفسير الإحيائي، الذي استخدم الظواهر البيولوجية كوسائل تفسيرية بالنسبة إلى الظواهر الطبيعية. ولم يسلم من هذا العائق حتى العلما على شاكلة، لافواهييه، كلود برنار وأوجست كونت .لذلك ينبهنا باشلار إلى أن فكرة الحياة إذا علقت بسذاجة فسينشأ عنها تقييمات لا مر ر لها في الفيزيا ، تضر بالقيم الحقيقية للفكر العلمي .أوغست كونت مثلا، كان يعتقد أنه لا يمكن فهم مبادئ تصنيف العلوم إذا لم يكن لنا إلمام دقيق بعلم الحياة، ويدعو عالم الكميا ليستخلص الدروس من علوم الحياة. ويتجلى الحضور السي للنزعة الإحيائية من وجهة نظر باشلار في الفكرة السائدة في القرن الثامن عشر حول تصنيف الطبيعة إلى :نباتية، حيوانية

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/2614

ومعدنية، ويتمت الكائن الحي فيها بنوع من الرفعة والهيمنة بالنظر إلى المملكة المعدنية .ونظرا للسطوة الإحيائية اعتقد الكيميائيون بأن المواد الحية أكثر بساطة من المواد الجامدة، ودراسة ما هو عضوي حي أهم من دراسة غير العضوي الجامد.

كما تعر النزعة الإحيائية عن نفسها بصورة سيئة في الاعتقاد بوجود مبدأ عام للحياة يتحكم في نمو الظواهر يبدوا أن التنبت يشكل موضوعا يجله اللاوعي، فهو يمثل لموضوعه " » الطبيعية وتطورها ويعرف بفكرة " التنبت صيرورة هادئة وحتمية .ولو أردنا أن ندرس منهجيا هذه الصورة المتميزة للصيرورة، فإننا سندرك بعمق مثلا المنظور الحقيقي لفلسفة إحيائية ونباتية كما تتجلى لنا في فلسفة شوبنهو إن الأخذ بالمبدأ الإحيائي أفره أحكاما تزيد المسافة هوة عن العلم ولا تقود إلا إلى أطروحات فلسفية مغرية، كالقول بأن الجنين نتاج العالم كله، والحياة تنتشر في من هنا اتخذت كلمة حياة طابعها السح ري . » الزمان من جيل إلى جيل، لتمنح الحركة والنمو لسائر كائنات الطبيعة الساحر واكتسبت قيمة عامة هي في أصل الإحيائية نفسها. وحسبنا مثال آخر عن النزعة الإحيائية باعتبارها عائق معرفي ابستمولوجي سيطر على ثقافة الفكر ما قبل- العلمي، إنها فكرة الحياة في المعادن، فالمعدن في باطن الأرض يحيا حياة طبيعية مثله مثل الجنين وإذا ما أخرج من باطنها تعرض للأمراض بفقدانه الكثير من خصائصه هذا التعليل تترتب عنه تقويمات أخلاقية قيمية كالقول بالتوالد والتناسل المعدني شأنها شأن الكائنات الحية .إن الطبيعة تحافظ على نفس دور الولادة والموت في المعادن كما في لو تركنا منجما معرضا » النباتات وفي الحيوانات، ومن ثم لا ينبغي استخراج معدن قبل أن يستكمل نموه بحيث للتهوية، يقول أحدهم، لأمكننا أن نجد داخله معادن لم تكتمل بعد وبسبب أن فتحة المنجم ستوقف فعل الطبيعة، فإن هذه المعادن ستظل ناقصة ولن تكتمل أبدا، وبالتالي فإن البذار المعدني الذي يحتوي عليه هذا المنجم سيفقد قوته وفضيلته بحيث أنه سيغدو عقيما . 18 بالإضافة إلى تطبيق مفهوم المرض على أشيا العالم المادي، حيث كثرة الكتّاب الذين يعتربون الصدأ نقصا، وهي تقويمات تؤدي إلى تصورات

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/2614

أخلاقية، ومن الخطر أن يمتد مبدأ الحياة من مجال إلى آخر مختلف لأن ذلك لا يتوافق م الروح العلمية.

المراجع :

- جمال بوغالم، العائق من الإبستمولوجيا إلى الديداكتيكية التوظيف الديداكتيكي لمفهوم العائق الابستمولوجي ، الاكاديمة للدراسات النفسية والاجتماعية ، المجلد5 ، العدد14،الشلف، 2018
- جميل صليبا، المعجم الفلسفي،ج2 ، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، د.ط، 1994
- غاستون باشلار، تكوين العقل العلمي، ترجمة :خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر،ط2، بيروت،1982
- غاستون، باشلار، العقل العلمي الجديد، تر :محمد الأزرق، مذكرة ماجستير غير منشورة،(الروح العلمية في فلسفة غاستون باشلار)جامعة وهران،2003.
- محمد، هشام، تكوين مفهوم الممارسة الابستيمولوجية عند باشلار، إفريقيا الشرق، المغرب، د.ط، 2005 .

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/2614